محمد سيد عيد(*)

الترجمة والتأويل

إن كلمة « ترجمة » هى ما يقوم به عمل « الترجمان » وهو المفسر للسان وهو الذى يقوم بترجمة الكلام أى نقله من لغة إلى لغة أخرى[1]، وكلمة « translation » مأخوذ عن الفعل اللاتينى « translat ». ويعنى الجذر اللاتينى الأصلى « يحمل عبر » to bear across وتشير كلمة « translation »إلى عملية أو نشاط، وتحتفظ هذه الكلمة بجذر المعنى وهو bear across « يجلب عبر »، ومن ناحية أخرى تشير كلمة translation أيضا إلى نهاية نتيجة النشاط، على سبيل المثال، نهاية لاستخلاص النص من لغة أخرى، وهو دائما ما يسمى ترجمة translation، وهى تشير فى عبارة وجيزة إلى عملية تصنيع وإبداع ما هو مصنوع،... ليست الترجمة إبداعا بل هى إعادة إبداع، ونقل عبر، نقل المعنى عبر اللغة من جهة ما إلى جهة أخرى،.. ليست عملية الترجمة عملية إبداعية. بل هى مشابهة لنشاط يقوم به الشخص الذى يأخذ المعنى من منطقة وينقله إلى منطقة أخرى[2].

يتحدث هانز جورج جادامر عن الترجمة ضمن كتابه الرئيس « الحقيقة والمنهج » باعتبارها مثالا على العملية التأويلية برمتها، فهى الوسيط الذى يصل بالمترجم إلى عملية الفهم حتى تتسنى له الترجمة الصحيحة، ولكن كيف يفهم المترجم النص ؟ وما علاقة الفهم بعملية الترجمة ؟، يقول جادامر: « إن العملية اللفظية التى تكون بها المحادثة بين لغتين مختلفتين ممكنة عبر الترجمة هى عملية نقل للمعلومات على نحو خاص، وهنا يجب على المترجم أن يترجم المعنى ليُفهم فى السياق الذى يحيا فيه المتكلم الآخر، وهذا لا يعنى، بطبيعة الحال، أنه حر فى تحريف معنى ما يقوله الآخر، وبالأحرى، يجب أن يصان المعنى ولكن مادام يجب أن يكون مفهوما ضمن لغة جديدة، فيجب أن يؤسس شريعته ضمنها بطريقة جديدة، وهكذا، كل ترجمة هى، فى الوقت نفسه، تأويل، حتى أننا يمكن أن نقول إن الترجمة هى ذروة التأويل الذى يكونه المترجم للكلمات »[3].

ويرى جادامر فى عملية الترجمة أنها لم تكن بين متحدثين ولكن بين مؤيدين يتلاقون فى عالم مشترك من الفهم إذ أن المهمة هنا صعبة لأن كل طرف يفهم الطرف الآخر من دون أن يتكلم اللغة التى يعرفها وبذلك تحاول إحدى اللغتين تأسيس نفسها على الأخرى، ولذلك يكون التمكن من اللغة لكلاهما هي الشرط المسبق لعملية الفهم والترجمة، فلابد أن يتحدث كلا المترجمين نفس اللغة، وبذلك يكونان مفهومان عبر اللغة، فى هذه الحالة تثار مشكلة التوافق فيما بينهما[4]. وعملية الترجمة هى إعادة خلق للنص بالطريقة التى يفهمها المترجم من النص الأصلي، وليست إعادة إنتاج وهي محاولة لإبراز وإيضاح ما هو غير واضح فى النص مما يصل بالنص

(*) باحث فى الفلسفة فى آداب القاهرة.

المترجم إلى أنه أكثر جاذبية وأوضح من النص الأصلي، وهذا ما حدث فى ترجمة ستيفان جورجيه لديوان أزهار الشر لبودلير [٥].

ولتفهم شيئا يعنى القدرة على ترجمته بين اللغات، أو بصورة عامة، إعادة تسميته أو ترجمته reworded، فعندما نقول فى الألمانية "Baum" تترجم فى الإنجليزية "tree " فمن الواضح هنا أنه من الكافى ترجمة الكلمة هكذا، ولكن التعريف يبدو هنا به شيئا من الغرابة البسيطة، لكن لكى نجد كلمة بديلة يجب أن نكون بجانب الكلمة الأصلية، لكن لا ينتقل المعنى الأصلى عبر، ولا يترجم المعنى بصورة كلية، لكن فقط تحل محلها وتستبدلها، إذا كنا مع جادامر نعتقد بأن انصهار الآفاق هو انصهار للغات داخل لغة شريكة، فينشأ السؤال بوصفه ترجمة والتى هى النموذج الأمثل لهذه العملية، فما يحدث فى الترجمة هو انصهار للغات أو استبدال لغة بأخرى، فإذا كانت الترجمة تحول اللغة الصينية إلى لغة إنجليزية مبسطة، فإننا نستطيع أن نكشف بوضوح كاف هذا الانصهار، ولكنها أيضا ترجمة سيئة، فإننا مع هذا الاعتبار لم نكن نستبعد إمكانية الانصهار، فيجب أن تترجم اللغة الصينية المعتادة إلى اللغة الإنجليزية المعتادة. إن مهمة المترجم هى أن يكتشف ويفهم موارد لغته، والتغيرات المناسبة للمعنى الأصلى، وهو بفعله هذا لم يؤكد تمام الانضباط على صحة وإبقاء على مستويات لغته، فهو لم يوظف بالضبط موارد لغته ولكن هو يحدث لها امتداداً ا، إن الترجمة هى توسيع للأفق الذى يقال فى اللغة المعطاة وهذا التوسيع هو الفهرس ووظيفة إحضار اللغة، فالترجمة الحقيقية هى ليست جعل الكلمة الأصلية بسيطة وتقف خلفها، ولكن هى جعلها تنصهر فى لغة المترجم[٦].

إن الاعتماد على الترجمة يساوى تخلى طرفين عن سلطتهما المستقلة، وحيثما تكون الترجمة ضرورية فلابد من الأخذ بعين الاعتبار الفجوة القائمة بين روح الكلمات الاصلية واعادة إنتاجها، إنها الفجوة التى لا يمكن إبدا ردمها تماما، وفى هذه الحالات، لا يحدث الفهم حقيقة بين المتحادثين، بل بين المؤولين الذين يتلاقون فى عالم مشترك من الفهم[٧].

وهنا يظهر جادامر صعوبة ترجمة الكلمة ذاتها من لغة إلى أخرى، وهو ما نجده مثلا عندما نحاول أن نترجم الأسماء المختلفة لحيوان الأسد من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية، فلا يوجد فى اللغة الإنجليزية غير اسم واحد هو (Lion)، فالكلمة عندما نترجمها هى ليست كلمة منفصلة عن تراثها الذي نشأت منه وحضارتها ومجالها الدلالى،.الخ، فهذا يجعل هناك صعوبة لنقل الكلمات من لغة إلى أخرى، وهذا ما يجعل الشعر والأغانى لا تقبل الترجمة دائما لأنها عندما تنقل إلى لغة أخرى فهى لا تعطى المعنى والدلالات التى كانت تؤديها فى اللغة الأصلية. وبالتالى لم تعد عملية الترجمة هى محض ترجمة بل هى تحتاج إلى تأويل أكثر منه ترجمة فهى تحتاج إلى فهم للمعنى فى اللغة الاصلية وتأويل لمحاولة ايجاد المعنى القريب وليس المساوى للمعنى الأصلى.

ويرى الفيلسوف الفرنسى بول ريكور أن عملية الترجمة المتطابقة تكاد تكون مستحيلة فهى على المستوى اللسانى:« اذا قلتم bois بالفرنسية، فإنكم تجمعون هنا بين الأدوات من طبيعة خشبية

وفكرة غابة صغيرة، لكن هذين المعنيين سيفترقان فى لغة أخرى، حيث سيتم تجميعهما داخل نسقين دلاليين مختلفين، وعلى المستوى النحوى، فإنه من السهل علينا إدراك كيف أن أنساق الأزمنة الفعلية (حاضر، ماض ، مستقبل)، تختلف من لغة إلى أخرى؛ إذ تجدون لغات لا يتم فيها تحديد وضع الزمان بل فقط الخاصية المنجزة أو غير المنجزة للفعل؛ وتجدون لغات بدون أزمنة فعلية، حيث يحدد الوضع داخل الزمان بواسطة ظروف معادلة للأمس أو للغد الخ »[٨].

وهذا المثال الأخير الذى يوضحه ريكور نجده فى فعل الكينونة بين اللغة العربية واللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية فهو موجود فى اللغات الثلاث، وغير موجود فى اللغة العربية وهو يأتى لتأكيد أو إثبات الوجود أو إثبات الذات. فعندما أقول "أنا دكتور " باللغة العربية، و" I'm a doctor" فى اللغة الإنجليزية، " Ich bin Dr." فى اللغة الألمانية، " Je suis Le Dr." فى اللغة الفرنسية، فهى فى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية توجد واقعة وجودى ألا بأن لى وجوداً وما سوف يأتى بعدها هى منحى من مناحى وجودى. أما فى اللغة العربية فهى غير موجودة لأن واقعة وجودى غير محتاجة إلى إثبات، فأنا موجود وما يعنينى هو وظيفتى أو هذا الكيان الذى يصفنى ولست فى حاجة إلى اثبات وجودى، وإذا جاءت العبارة «أنا أكون دكتوراً » ربما تأتى للتأكيد وربما تكون مساوية للمعنى، أما اذا ترجمت إلى « أنا موجود وأنا دكتور » ربما هذه الجملة الأخيرة هى محاولة لترجمة عبارة I'm a doctor" فى اللغة الإنجليزية و"Ich bin Dr." فى اللغة الألمانية و"Je suis Le Dr." فى اللغة الفرنسية، وإذا ترجمت بهذه العبارة ستكون خاطئة من حيث اللغة، وإذا ترجمت إلى أنا أكون دكتوراً » فهى هنا لم تنقل إلى رحاب اللغة العربية فهى غير مفهومة لأن فعل الكينونة هنا فى اللغة لا يأتى إلا للتأكيد فلا معنى هنا لذكره، وبالتالى فإنه يوجد جانب ما من الاستحالة لنقل هذه العبارة البسيطة إلى لغة أخرى.

إن ما يؤكد عدم الاهتمام بالوجود فى اللغة العربية أيضا على خلاف اللغات الأخرى، هى أداة التعريف. ففى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية توجد هوية أو تصنيف لكل كلمة فكل كلمة تعلن عن وجودها : ففى الإنجليزية توجد أداتا تعريف إما أداة تسبق الكلمات التى تبدأ بحرف الجر "an" أو أداة تسبق الكلمات التى لا تبدأ بحرف الجر "a" فهناك هويتان لكل كلمة فى اللغة الإنجليزية، وهناك ثلاث هويات أو ثلاثة أنواع من الوجود فى كل من اللغتين الفرنسية والألمانية، فهناك « المذكر » وهو يسبقه فى الفرنسية أداة التعريف "La" وفى الألمانية أداة التعريف "der"، وهناك « المؤنث » وهو يسبقه فى الفرنسية أداة التعريف "Le" وفى الألمانية أداة التعريف "die"، وهناك « المحايد » وهو يسبقه فى الفرنسية أداة التعريف "Les" وفى الالمانية أداة التعريف "das"، أما فى اللغة العربية فلا توجد غير أداة تعريف واحدة « الـ » وهى لا تأتى لتحقيق الوجود ولكن هى تساوى فى الانجليزية أداة التعريف "the" وهى تأتى للتأكيد أو للحديث عن كلمة سبق الحديث عنها فى سياق الكلام، ومن هنا عندما اترجم كلمة « كتاب » إلى اللغات المختلفة اترجمها كالآتى : "a book" فى الانجليزية، " Le Livre" فى الفرنسية، " das

buch" فى الألمانية، فإننى عندما انقل هذا الكيان أو الوجود من لغة إلى لغة اخرى تواجهنى استحالة هو أن هذا الكيان أو الوجود له نحو مختلف من لغة إلى اخرى وله وجود مختلف من العربية إلى الالمانية مثلا، فهو بدون كيان أو تصنيف فى العربية وهو مؤنث فى الفرنسية ومحايد فى الالمانية فكيف اذن ادعى ترجمة كلمة « كتاب » إلى لغة اخرى غير العربية ؟ !،

يتحدث ريكور عن مستوى استحالة آخر فى الترجمة وهو ترجمة الشعر حيث يطرح الشعر « مشكلة خطيرة تتمثل فى الاتحاد الذى لا انفصام له بين المعنى والصوت وبين الدال والمدلول، لكن ترجمة الأعمال الأدبية التى تهمنا اليوم أكثر تطرح مشاكل من نوع آخر، وبمعنى من المعانى غير قابلة للمعالجة حيث يظهر على مستوى التقطيع ذاته للحقول الدلالية التى تبين أنه من العسير المطابقة الدقيقة بين لغة وأخرى » [٩].

أما عن ترجمة المعنى نوضح ذلك باللجوء إلى مثال ترجمة وتأويل مصطلح bewuβtsein (الوعى) والذى اقترح ترجمته أستاذى د. محمود رجب إلى (الوجدان) وهو ترجمة لما يقصده هسرل من المصطلح الألمانى، فيقول د. رجب: « ليست هناك – على ما نعلم – كلمة فى اللغة العربية أصدق ولا أبلغ فى تعبيرها عن هذا المعنى من كلمة الوجدان فالوعى وجدان، فلو جردنا هذه الكلمة من دلالتها النفسية والشعرية المألوفة ورجعنا بها إلى أصلها اللغوى البكر، لوجدنا أنها تجمع فى آن معا بين معانى : الوجود، والوجد (الخروج من، والانجذاب نحو)، والقدرة على المعرفة، وإذا نظرنا فى معاجم اللغة (وخاصة، لسان العرب، وأساس البلاغة للزمخشرى، والمنجد) فسوف نجد أن من بين المصادر « وجد » الوجود والوجد والوجدان، وتأتى وجد بمعنى علم، ووجد المطلوب: أدركه والوجد يقال بمعنى القدرة، يقال : هذا من وجدى أى من قدرتى ويقال: « أنا واجد للشىء » أى قادر عليه، والجدير بالذكر فى هذا الصدد أن من بين تعريفات هسرل العديدة للوعى تعريف بأنه أنا أقدر، وتعريف الوجود عند ابن عربى هو: وجدان الحق فى الوجد »[١٠]، وبالتالى تتحول ترجمة المصطلح هنا إلى تأويل ناتج عن فهم المصطلح فى الثقافتين العربية والالمانية، وفكر المؤلف واللغة التى يترجم إليها النص.

ويتحدث جادامر عن المسافة التى تفصل المترجم عن الأصل، وذلك من حيث الآراء، آراء المترجم وآراء المؤلف، وذلك ما يحدث فى المحادثة والتي يكون فيها الآراء متناقضة، وعلى المترجم هنا أن يبحث عن الحل الأمثل للتساوق بينهما وذلك عن طريق محاولة المترجم أن يحول نفسه تحويلاً إلى مؤلف النص الذي يترجمه[١١] ولكن كيف يحدث هذا ؟ هل سيتخلى المترجم عن رأيه ؟

يجيب جادامر بأنه يجب على المترجم أن يحتفظ بطبيعة لغته الخاصة، اللغة التى يترجم بها، فى الوقت الذى يظل فيه يدرك قيمة الطبيعة الغريبة، وحتى المتنافرة، للنص وتعبيره، بأى حال، ربما يكون هذا الوصف لنشاط المترجم وصفا مقتضبا جدا، وحتى فى مواقف متطرفة حيث تكون ضرورية الترجمة من لغة إلى أخرى، نادرا ما يمكن أن يكون موضوع الترجمة منفصلا عن اللغة،

والمترجم الوحيد الذى يعيد إبداع النص هو ذلك المترجم الذى يحُدث فى اللغة الموضوع الذى يشير إليه النص، ولكن هذا يعنى إيجاد لغة لا تكون لغته الخاصة حسب، بل تكون مناسبة للأصل أيضا[١٢].

لدى المترجم هنا مشكلتان: إبداء رأيه، وإبداء رأي المؤلف الأصلى، وإبداء رأي المترجم يكون بوضوح النص المترجم وإبداؤه كما يقول جادامر أكثر جاذبية ووضوح من النص الأصلي، وذلك من خلال المعاني التى توجد فى اللغة والتى ينقل إليها النص واستغلال هذه المعاني فى أحسن صورة حتى يبدو النص الأصلي أكثر وضوحاً وجلاء، أما عن وجهة نظر المؤلف الأصلي التى يجب أن يتبناها المترجم فهى لا تعني التخلي عن وجهة نظرة ولكن السماح للمؤلف أن يقول معانيه وأن يقول رأيه، فالترجمة بالأساس هى نقل عبر (TO BEAR ACROSS)، وهى عبر المترجم فهو يتبنى وجهة نظره الخاصة (وجهة نظر المؤلف) حتى يتسنى له أن ينقلها عبر النص المترجم إلى القارئ، والقارئ هنا هو الذي سيتضح له الرأيان جنباً إلى جنب، فلو اكتفى المترجم بالاحتفاظ برأي المؤلف ووضع نفسه مكانه لكانت الترجمة هي إعادة إنتاج للنص، أما إذا ظهر رأي المترجم من خلال فعل الإظهار والإبراز للنص وتوضيح النص المترجم، فهنا تكون الترجمة هي حالة من إعادة الخلق للنص. ومن هنا يحدث التوازن بين الرأيين، يحاول ريكور أن يحدث هذا التوازن بين الرأيين، من خلال مناقشته لمشكلة الترجمة فى اطار علاقة الانا بالغريب على اعتبار أن النص يعانى حالة من الاغتراب فى ترجمته، فهو يستند إلى عبارة شلايرماخر:« جلب القارئ نحو المؤلف »، و« جلب المؤلف نحو القارئ »، ويشبه ريكور عمل المترجم بالحداد « فهذا العمل الأخير الذى يتم التحكم فيه بعد مقاومات داخلية مصدرها الخوف إن لم نقل الحقد على الاجنبى، يدرك كتهديد موجه ضد هويتنا اللغوية الخاصة، وهو ايضا عمل الحداد الذى تتجلى وظيفته فى التخلى عن النموذج المثالى للترجمة الكاملة »[١٣].

ويصف ريكور علاقة الغريب بالترجمة كالآتى: « الغريب كلمة تغطى العمل والكاتب ولغته، ومن جهة أخرى القارىء متلقى النص والعمل المترجم، وبين الاثنين يحاول المترجم، الذى يقوم بارسال الخطاب، تمرير الرسالة كاملة من لغة إلى اخرى،. هى خدمة سيدين: الغريب داخل عمله، والقارىء ورغبته فى التملك، الكاتب أجنبى وقارىء يسكن نفس اللغة التى يتكلمها المترجم هذا التناقض يتعلق باشكالية لا نظير لها لأن المترجم يجد نفسه بين نارين : رغبة الوفاء وشكوك الخيانة »[١٤]

ولكي يتضح ما نقوله نضرب مثالاً من عملية ترجمة حية وهو مثال ترجمة كتاب فنومنولوجيا الروح لهيجل التى قام بها د. ناجي العونلي، وفى هذه الترجمة يتم فيها المحافظة على طبيعة اللغة العربية وإظهار إمكانياتها ومصطلحاتها المتقعرة من دون أن يكون لهذه المصطلحات مردود لدى هيجل نفسه، فنجد المترجم يظهر طبيعة اللغة العربية أكثر مما يظهر المعاني الأصلية التى تعنيها اللغة الألمانية التى كتب بها الكتاب الأصلي وذلك رغم الرجوع إليه، ولنأخذ الفهرس مثالاً :-

ففي النص الألماني الأصلي للكتاب ينقسم الفهرس إلى ثلاثة أجزاء كالأتي:-

الوعي	A- Bewuβtsein
	B- Selbestbewuβtsein
الوعي الذاتي	
العقل	C- Vernunft
العقل	aa. Wernunft
الروح	bb.der geist
الـدين	cc.die religion
	dd.das absolnte wissen

المعرفة المطلقة

أمـا فى الترجمـة العربيـة فقـد تلاشـت هـذه العنـاوين الرئيسـية الثلاثـة واكتفـى المـترجم بالدخول فى العناوين الفرعية، أما عن أول فصـل وهو بعنوان الايقان الحسي، والتظنن وفي الأصـل الألماني die sinnliche Gewiβheit oder das Diese und das meinen وهنـا نجـد تكلفـا زائـدا فى المصـطلحات فنجـد المترجم يزيد عن الجذر الأصـلي للكلمـة، فمـثلا كلمة التظنن هى الاسم من صيغة تفعل من الجذر ظن فهي على وزن تفعل،فهنـا نجـد المـترجم قـام بتغيير الكلمـة فنجـد المصـدر عـلى وزن (تفعـل) وهو بعكـس الأصـل الألمـاني فهـى كلمـة das meinen لا تعنـي إلا الظـن ولا يوجـد تفعـل فيها ولا يوجد زيادة، فهـى مصـدر Infinitive، فنجد هنا أن المترجم فرض رأيه عـلى اللغـة التـى يترجم إليها النص، بينما يختلف رأي المؤلـف فهـو لا يـرى تكلفـا فى الكلمـة ومعانيهـا المبـاشرة ولا يريد التعقيد فى المصطلح، وهذه الترجمة من ناحية أخـرى هـى غـير معتـادة للقـارئ، فغـير معتـاد للقارئ أن يجـد الكـلام مقعـرا. فـالمعروف لـدى القارئ العربي أو القارئ باللغة العربيـة أن يفهـم الكـلام مبـاشرة دون تحريفـات كثـيرة، أمـا عـن ترجمتـهdie sinnliche Gewiβheit بالإيقـان الحسي. فكلمـة الإيقـان هنـا غـير معتـادة لـدى القارئ باللغة العربية وكلمـة اليقـين الحسي- هـى الكلمة الدارجة والأسهل و لا يتحدث هيجـل فى مصطلحاته الألمانية إلا من خلال عصره ؛ فهـو لا يتحدث مثلاً الألمانية التى يتحـدثها الألمـان الآن، ولكن كان مواكباً لعصرـه فكلمـة Gewiβheit وهى اليقين وهى الكلمة المناسـبة لعصرـه وهـذا كان مقصده أن يفهمه النـاس لا أن يبتعـدوا عنـه ويجدوا ألغازا، حتى إن طباعـة الكتـاب نفسـه فى طبعته الأولى ١٨٠٧ بالمقطع الصغير فكان يسمى بحجم الجيـب، وهـو مقطـع صـغير يسـهل عـلى القارئ أن يحمله وهو يسير عـلى قدميـه يقـرأ فيـه ماشياً أو راكباً، لقد تبنى المترجم هنا وجهة نظـره وهي أن تظهر طبيعة اللغة العربية، ولم يتبن وجهة نظر المؤلف فى أن يجعل اللغة سهلة، فقـد صـعب المترجم من لغة هيجل وخرج عـن قصـد هيجـل فى أن يقرأه الجميع، وينطبق هـذا المثـال عـلى كـل الترجمة ؛ فليسـت المصـطلحات السـابقة فقـط أو الفهرس فقط ولكن كـل المصـطلحات، وليسـت هذه الترجمة خاطئة من حيث اللغـة ولكنهـا غـير دقيقة من حيث الفهم والتأويل لهيجل، فإذا كانت الترجمة هى نفسها عملية تأويل –طبقاً لجـادامر – فإن هذه الترجمـة غـير دقيقـة مـن حيـث التأويـل وليس من حيث اللغة ».

وعلى النقيض نجد ترجمة غير دقيقة من حيـث اللغة وليست من حيث التأويل وهو مـا نجـده فى جل كتابات عبد الرحمن بدوى عن ايمانويل كـانط

بصورة عامة وفى كتابه « إمانويل كنت » بصورة خاصة، حيث نجد أنه يستهل عرضه لكتاب نقد العقل الخالص بمجموعة من التعريفات بالمصطلحات الكانطية والتى يرى فيها بدوى أن التعريف بها ضرورى حتى يُتاح للقارئ درجة ما من الفهم لكانط حتى يفهم عرض الكتاب، فهو يعرض لمصطلح « نقد » ومصطلح « متعالى »، و« العقل المحض »، والتمييز بين « العقل » و« الذهن »، فالصورة التى نأخذها لكانط من خلال كتابات بدوى، هى تصور لنا كانط على أنه رجل المصطلحات المعقدة، والحقيقة أن هذه السمة تعود بنا إلى بدوى ذاته، فهو دائماً ما يتفنن فى محاولة إجادة مقابل فى اللغة العربية للمصطلح الغربى، فدائماً ما يذهب إلى المعاجم العربية القديمة حتى يستقى منها مصطلحاته ليضعها مقابل للكلمات الأجنبية، فقد نحت بدوى العديد من المصطلحات فى اللغة العربية كمقابل لمصطلحات ألمانية وفرنسية وإنجليزية. ومن بين هذا النحت المستمر ترجمته لمصطلحات كانط وهيدجر، وربما نجد أن هذه المحاولات مع كانط وغيره من الفلاسفة فى الترجمة قد أدت إلى استصعاب الفيلسوف ذاته، فعلى سبيل المثال نجد تمييز لدى بدوى بين مصطلحين : العقل Vernuft والذهن Verstand، فنجد أن هذا المقابل العربى لم ينجح فى التمييز بين الكلمتين إلى حد ما، فالعقل هو الذهن فى اللغة العربية، بينما فى اللغة الألمانية كما يقصدها كانط بينهما اختلاف، ونلحظ كذلك فى تمييزه بين كلمتين آخرين هما العالى Transcendence والمتعالى Transcendental، والمصطلحين فى العربية (العالى والمتعالى) ربما نفس المعنى فكلاهما يشير إلى العلو والارتفاع والمعنى عند كانط مختلف تماماً، فليست كلمة متعالى فى العربية هى ما تسير إليه الكلمات فى الألمانية، فكلمة Transcendental مثلاً تشير إلى التجربة المعرفية القبلية وليس لما يعلو عليها بل تشير إلى ما قبل التجربة،. وبالتالى فهذه المحاولات من قبل بدوى قد ذادت من حدة المصطلحات الكانطية وجعلت من المصطلحات أكثر صعوبة وأكثر تجريداً.

وهكذا لا تعنى المشكلة التأويلية بالتمكن الصحيح من اللغة بل ببلوغ فهم مناسب عن موضوع الكلام الذي يحدث عبر وسيط اللغة[١٥] أو كما يقول جورج شتاينر « أن تفهم معناه أن تترجم »[١٦].

ويمكن لنا أن نلتمس هذا الاقتراب بين الفهم والترجمة من خلال مثالين تأويليين من فلسفة مارتن هيدجر الفيلسوف الالمانى وهم ترجمته للمصطلحين « لوجوس » λογος و« اليثيا » α'ληθεσεία. لتوضيح إلى أى مدى كانت الترجمة عند هيدجر هى نوع من التأويل أكثر من كونها ترجمة لغوية.

يترجم مارتن هيدجر كلمة α'ληθεσεία الاليثيا بـ« اللاتحجب » فى محاضرته « اليثيا هيراقليطس الشذرة السادسة عشر» قائلا:« إن اللاتحجب هو الطابع الاساسى الذى يميز ذلك الذى يمكن من الظهور بالفعل وترك التحجب أو الخفاء وراءه، وهذا هو معنى الحرف (α) الذى تبدأ به الكلمة، وهو الحرف الذى وصفه علم النحو والقواعد فى مرحلة متأخرة من مراحل الفكر اليونانى بأنه الألف (α) السالبة أو النافية، إن

العلاقة « بالليثية » λήθη أو التحجب وبهذا التحجب نفسه لن تفقد وزنها إن نحن اقتصرنا على تجربة اللامتحجب تجربة مباشرة وفهمناه بمعنى الظاهر أو الحاضر والكائن،. إن اندهاش الفكر يعبر عن نفسه بالسؤال، يقول هيراقليطس:« كيف يتسنى لامرىء أن يحجب نفسه عما لا يغيب ابدا ؟»[١٧].

يتضح من التفسير والترجمة السابقتين أن هيدجر يحاول أن يؤول فكر هيراقليطس إلى فكر الوجود فهو احيانا يتحدث عبارات شبيهة بعبارة هيراقليطس السابقة فالوجود عند هيدجر مثلا هو أساس كل موجود فهو المختفى خلف كل موجود وهو أصل كل موجود فهو مثلا كما يشبهه بشجرة ديكارت عن الفلسفة وفروعها، فالوجود هو الجذر الذى يغذى الفروع والانطولوجيا هى الجذر الذى يغذى فروع علوم الفيزيقا، « فإذا كانت الميتافيزيقا تبحث فى الموجود بما هو موجود فإن هذا الموجود لا يظهر ولا يتبدى فى مجال النظر الميتافيزيقى إلا بفضل نور غريب، يجعله لا محجوبا، أى مكشوفا، بيد أن هذا النور يظل هو نفسه محجوبا داخل الموجود الذى يكشفه، لأنه ليس موجودا بين الموجودات، وإنما هو نور فحسب، ينير ولا يستنير، يكشف ولا ينكشف »[١٨].

εία وهى تعنى « الحقيقة » عند اليونان ولكن يترجمها هيدجر بمنطق السلب بأنها اللاتحجب أو التكشف، فالوجود عند وهيدجر هنا يحاول ترجمة كلمة α'ληθεσهيدجر يظهر ماهيته فى لاتحجبه، فالعمل الفنى مثلا يكون دور الفنان فيه هو القيام بهذا الدور التكشفى أو كشف ما هو محتجب من حقائق وبالطبع هى حقيقة الوجود، وجود ما يرسمه من الواقع أو الطبيعة، فالوجود عنده هو دائما مرتبط بالتخفى بهذه الليثية λήθη أو التحجب أو التخفى فهو فى حالة من الوردة التى تتفتح الوجود فى اللوحة الفنية مثلا هو فى حالة من التفتح ولكنه ليس ظاهرا بل يظهر فعل الظهور المضارع التفتح فهو دائما مرتبط بالتحجب والتخفى، ويصل هيدجر بعد التحليل اللغوى لأصل اللتحجب إلى أن « الخفاء أو التحجب هو الذى يحدد هنا اسلوب كينونة الإنسان – (او حضوره) – بين الناس – واللغة اليونانية تكشف بطريقة قولها عن أن التحجب (التخفى)، أى البقاء فى التحجب والخفاء، اسلوب فى الكينونة (أو الحضور) يفوق جميع الاساليب الاخرى، والخاصية الاساسية للكينونة نفسها تتحدد عن طريق البقاء فى (حالة) الخفاء (التحجب) أو حالة اللاتحجب[١٩].

ونجد هذه الترجمة التأويلية ايضا فى محاضرة هيدجر عن « اللوجوس هيراقليطس الشذرة ٥٠ » والتى يفتتحها بشذرة هيراقليطس التى تقول « لا تنصتوا لى بل إلى المعنى فمن الحكمة أن نفس المعنى هو أن الواحد هو الكل Εν παντα [٢٠] إن الفعل Λέγειν ليجين يعنى التحدث، القول أو الاخبار، وهو يعنى ايضا ما يقترب صوتيا من ليجين legen التى تعنى يضع ويعرض على، فى ليجين legen « يجلب مع » من الفعل اللاتينة legere تفهم بوصفها يقرأ " lesen "فى الالمانية ويحتمل أن Λέγειν تعنى أن يضع ويعرض على[٢١].

ويستكمل هيدجر حديثه عن ترجمة فعل Λέγειν بوصفها وضع ما تم جمعه من قبل

gathered–letting– lie – before وترجمة لوجوس بوصفها وضع ما جمع، ان ترجمة هذا اللوجوسὁ Λόγος تعنى جمع كل الموجودات وتقديمهم لوضعهم ويعنى جلب ما هو حاضر لما هو ماضى فعند اليونان للحديث عن الموجود الحاضر يقال: τo ἐὸν، هذا هو، فى اللاتينية يقال esse entium، وعندما نقول وجود الموجود يبدو الاهتمام به منذ بداية الفكر الغربى على أنه الاهتمام الوحيد للفكر، إننا إذا اعتقدنا بهذا التطور التاريخى فى اتجاه تاريخى حقيقى، فان بداية الفكر الغربى تبدو بجلاء يصبح وجود الموجود فى العصور القديمة مفيدا للفكر وان وراء بداية الغرب مصدر خفى لمصيره، ان هذه البداية غير آمنه فان وجود الموجود لا يتحكم الآن فى ماهية التكنولوجيا[٢٢].

ويفسر ـ استاذى د. محمود رجب حديث هيدجر عن اللوجوس بأنه « سر الأشياء، فهذا الكرسى الذى يصنعه النجار هذا الكرسى له لغته له لوجوس λογοσ خاص به، وهذه اللغة لا يفهمها إلا الانسان العارف بسر ـ هذا الشىء أو لغته لغة الكرسى، وسر هذا الشىء أو لغته هو أنا شىء مصنوع يجُلس علىَّ أى أنا شىء صنعت من أجل أن يجُلس علىَّ ، فالنجار صنعه من الخشب لكى يكشف من الخشب نفسه سر هذا الشىء الذى صنعه معناه أنه صالح للجلوس عليه، فالإنسان الذى يعرف سر هذا الذىء المصنوع ويستطيع أن يقرأ لغته واللوجوس الخاص به سيجلس عليه فهو يفهم لغته، أما هذا الكرسى إذا قذف به من الطائرة على قبيلة بدائية لا تعرف لغة هذا الشىء لم يجلس عليه فهو لم يعرف لغة هذا الشىء، فيمكن أن يقف عليه أو يركله برجله، الخ، فهذا مثل يبين أن اليونانيين لديهم أن كل شىء له لوجوس والسوفوس هو الذى يكشف والإنسان الذى يعرف معانى الأشياء هو من يجيد الإنصات إلى لغة الأشياء لغة الوجود»[٢٣].

ويتضح من ترجمة هيدجر للمصطلحات أنها تنطلق من التفسير اللغوى للمصطلحات ومن معانيها الحرفية والاشتقاقية إلى الوصول إلى التأويل الانطولوجى للمعنى، فهى لم تقتصر ـ على الترجمة الحرفية بل هى تأويل انطولوجى للكلمات والمعانى حيث ربط بين اللوجوس والاليثيا والوجود وهى فلسفة هيدجر الخاصة حول الوجود.

= = = = = = = = = = = =

الهوامش :

١ – ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف، القاهرة ، ص ٤٢٦.

2- Nikolay Tuguchev: Structuralism, Hermeneutics & Translation : Performance of sameness –in-Difference, Stony Brook , University, http://nasph.tamu.edu/tugushev.pd.

3- TM., P.384.

4- TM, P.384.

5- TM, P.385

6- Weinsheimer, J., Gadamer's Hermeneutics, PP. 218-219

7- TM, P.384, . الترجمة العربية، ص ٥٠٦.

٨- بول ريكور ، الصيغة النموذجية للترجمة ، فى الترجمة والفلسفة السياسية والاخلاقية، ت: عز الدين الخطابى، عام التربية ، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٤، ص ٣٠.

٩- بول ريكور : عن الترجمة، ت: حسين غمرى ، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط١، ٢٠٠٨، ص ١٨.

١٠- محمود رجب : المنهج الظاهرياتى فى الفلسفة المعاصرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦، القاهرة، ص١٠٠.

11- TM, P.391,، ٥٠٩ ،.الترجمة العربية ص

12- TM, P.391 , ، ٥٠٩ ، .الترجمة العربية

١٣- عز الدين الخطابى، المرجع السابق ذكره، ص ٣٦ ، ٣٧.

١٤- بول ريكور: عن الترجمة، الترجمة العربية، سبق ذكره، ص ١٦.

15- TM, P.390.

١٦- بول ريكور، الصيغة النموذجية للترجمة، الترجمة العربية، سبق ذكره، ص ٢٧.

١٧- هيدجر ، اليثيا (الشذرة السادسة عشر، الترجمة العربية ضمن مارتن هيدجر: نداء الحقيقة، ت: عبد الغفار مكاوى، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٣٦٦، ص ٣٦٧.

١٨- محمود رجب: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، دار المعارف، ط ٣، ١٩٨٧، ص ٣٣ - ٣٤.

١٩- هيدجر، اليثيا، الترجمة العربية، سبق ذكره، ص ٣٧٣.

20- Heidegger M. early Greek Thinking, trans. David Farell & Frank A. Capuzzi, HarperSan Francisco. 1984. P.59.

21- Ibid , P.60.

22- Ibid , P.76.

٢٣ - محمود رجب: محاضرات مادة الميتافيزيقا التى القاها بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، ٢٠٠٢، غير منشورة .

* * * *